



فَتْحُ الْوَعْدِ
شَرْحُ خَطَائِبِ بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ
الْشَيْخِ زَيْدِ بْنِ جَامِدٍ الْقُرَشِيِّ
- حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى -



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (1)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (2)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (3)

أما بعد :

فمن فضل الله - سبحانه تعالى - ومنته وكرمه أن يتر لنا في الليلة المباركة أن نبدأ في درس ؛ وذلك في مختصر عظيم لعقيدة أهل السنة والجماعة ألا وهو : " منظومة أبي بكر بن أبي داود في العقيدة " .

وفي الحقيقة أنّ هذه المنظومة على قصر أبياتها إلا أنّها حوت علماً كثيراً في معتقد أهل السنة والجماعة ، وبينت كثيراً ما جرى في عهده في عهد أبي بكر بن أبي داود من الخلافات في أصول العقيدة ، وهذا دأب أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر ؛ إمّا أن يؤلّفوا في العقيدة : مطوّلات أو مختصرات أو تثرأ أو نظماً ، فكلهم والله الحمد على عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ ينافون عنها ويكافون عنها ، ويردون عنها تأويل الغالين وانتحال المبطلين وكيد الكائدين ، ويبينون للناس أصول العقيدة ، ولذلك هذا الكتاب وهو " فتح الودود شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود " هو مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد حفظت هذه الأبيات منذ زمن بعيد ، ورأيت أن أساهم في شيء من شرحها ، وأخرجت هذا الكتاب وقرأته على الشيخ زيد - رحمه الله - ؛ زيد المدخلي ، ثم قرأته على الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - رحمه الله - ، وقدم له وطبع منذ زمن بعيد ؛

(1) سورة آل عمران ، الآية : 102

(2) سورة النساء ، الآية : 01

(3) سورة الأحزاب ، الآيتين : 70 ، 71

ولذلك نحن في هذا الدرس في صدد أن نبدأ في شرحه أو في شرح هذه المنظومة ، ولعلَّ الله - عزَّ وجل - أن ييسِّر لنا ذلك وأن يُسهِّله ، وأن ينفعَ به قارئه وسامعه ، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه .

فهذه القصيدة قصيدةٌ نافعةٌ مائعة ، وأرى لأبنائي وبناتي الأعزَّاء في هذا الصرح الشاخ وهو معهد الميراث النبوي أرى لهم أن يحفظوا هذه القصيدة وأن يجتهدوا في ذلك .

فأرى أيضًا أن نبدأ في سرد القصيدة ثم بعد ذلك نأخذها حسب الكتاب ؛ لأنني بَوَّبْتُ لها في هذا الكتاب وجعلتها على أبوابٍ .

يقول أبي بكر بن داود - رحمه الله - في هذه القصيدة :

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًا لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجـو وتربخ

وقل غير مخلوق كـلام مليونا بذلك دان الأولياء وأفصحوا

ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً كما قال أتباع لجهم وصححوا

ولا تقل القرآن خلق قراءة فإن كـلام الله باللفظ يوضح

وقل يتجلى الله للخلق جهرةً كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولودٍ وليس بوالدٍ وليس له شبهة تعالي المسبح

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرح

رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفخ

وقل ينزل الجبار في كل ليلة بلا كيف جل الواحد المتمدح

إلى طبق الدنيا يُمنُّ بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول ألا مستغفر يلق غافراً ومستمنحاً خيراً ورزقاً فيمنح

روى ذاك قوم لا يُردُّ حديثهم ألا خاب قوم كذبهم وقبحوا

وقل إن خير الناس بعد محمد وزيراه قدمًا ثم عثمان الأرح

ورابعمهم خير البرية بعدهم علي حليف الخير للخير يـمنح

وأَنهم والرهط لا ريب فيهم على نجب الفردوس بالثور تسرح

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامرُ فهِرِ والزبيرُ الممدح

وقل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طغأنا تعيب وتجرح

فقد نطق الوحي الـمبين بفضلهم وفي الفتح آي في الصحابة تمـدح
وبالقدر المقدور أيقن فإنه دعامة عقد الدين والدين أفيح
ولا تنكرن جهلاً نكيزاً ومنكراً ولا الحوض والمـيزان إنك تنصـح
وقل يُخرج الله العظيم بفضله من النار أجساداً من الفحم تطرح
على النهر في الفردوس تحيا بمائه كحبة حمل السيل إذ جاء يطفح
وإن رسول الله للخلق شافع وإن عذاب القبر بالحق موضـح
ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصموا فكلمهم يعصي وذو العرش يصفـح
ولا تعتقد رأي الخواج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضـح
ولا تك مرجئاً لعوياً بدينه إلا إنما المرجي بالدين يـمزح
وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصـح
وينقص طوراً بالمعاصي وتـارة بطاعته ينمي وفي الوزن يـرجح
ودع عنك آراء الرجال وقـولهم فقول رسول الله أركى وأشـرح

ولا تك من قوم تلهوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر ياصاح هذه فأنت على خير تبیت وتصبرح

هذه هي الأبيات التي نظمها أبي بكر بن أبي داود - رحمه الله - ، والتي اعتمدها الإمام الذهبي في كتابه سير
أعلام النبلاء .

فنبداً كما ذكرت أنني قد جعلت هذه الأبيات على أبواب :

فأولاً نبداً بالبَاب الأول ؛ و هو الحث على التمسك بالكتاب والسنة .

قال الناظم - رحمه الله - :

تمسك بجبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًا لعلك تفلح

وَدن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تتجو وتربح

هذا توجيهٌ إلى التمسك بجبل الله ؛ وهو القرآن والهدى الذي فيه وترك البدع والمحدثات ؛ لأنَّ التمسك
بكتاب الله فيه الهدى والفلاح ، وأنَّ التدبُّن لا يكون إلا بكتابِ الله وبما سنَّه رسول الله - صلى الله عليه وسلّم
- ، ويشير أنّ هذا هو طريق الفلاح والنجاح والربح يوم يلتقي الله - عزَّ وجل - ، وهذا التوجيه مأخوذٌ من قوله
تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (4)

وقال - عليه الصلاة والسلام - : (تركت فيكم شيئين - وفي رواية أمرين - ، لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض) (5)

قال ابن كثير - رحمه الله - عند قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

قيل بحبل الله أي بعهد الله ، كما قال في الآية التي بعدها : ﴿ صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِى مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ ﴾ (٦) أي بعهد وذمة .

قيل : ﴿ بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ يعني القرآن ، كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعاً في صفة القرآن (وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ) .

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره تفسير الكريم الرحمن حول هذه الآيات : " وَهُوَ دِينُهُ وَكِتَابُهُ وَالْإِجْتِمَاعُ عَلَى ذَلِكَ وَعَدَمُ التَّفَرُّقِ وَأَنْ يَسْتَدِيمُوا ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ " (٦) ، وَأَنْ يَسْتَدِيمُوا ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ ؛ أي يعني يبقوا على ذلك لا يتغيرون ولا يتبدلون ؛ يبقون على هذا الذي جاء به النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو الطريق المستقيم وحبلُ الله القويم ؛ الذي من تمسك به نجا ، ومن خاد عنه هلك .

فلذلك يجب على العبد أن يكون منهجاً في عقيدته وفي عبادته وفي أخلاقه وفي معاملته على الكتاب والسنة ، ولا يخشى في ذلك لومة لائم .

فإن هذا هو الطريق الصحيح للنجاة ؛ في الدنيا من الوقوع في الفتن والمخالفات والبدع ، وطريقُ النجاة يوم يلقى الله - عز وجل - وهو على هذا الطريق الصحيح الذي رسمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهذه الأمة ، وتمسك به أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الذين كانوا هم خير أمة أخرجت للناس ، فكانوا أفضل

(4) سورة آل عمران ، الآيتين : 102 - 103
(5) الراوي : أبو هريرة ، المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح الجامع ، الجزء أو الصفحة : 2937

(6) الآية (112) من سورة آل عمران
(7) تيسير الكريم الرحمن (ص 971)

الناس بعد الأنبياء أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ؛ لأنهم تمسكوا بما جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالكتاب والسنة ، وهذا التمسك هو طريقٌ للنجاة ، طريقٌ للفلاح ، طريقٌ لعدم الوقوع في الهلاك ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : (تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِيُنْهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ) (8) .

فلذلك نحن ندعو أبنائنا وبناتنا وندعو العالم بأسره أن يتمسكوا بكتاب الله - عزَّ وجل - وبسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ولذلك أهل السنة هم السعداء في الدنيا ، والسعداء في الآخرة ، وذلك لما وفقهم الله - عزَّ وجل - لهذا الطريق الصحيح الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وخاصةً نحن في هذا الزمن الذي تلاطمت فيه أمواجُ الفتن ، وكثُر فيه دُعاة الضلالة والانحراف عن الصراط المستقيم وعن الهدى القويم ، وعن كتابِ الله وسُنَّة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فلذلك نحنُ من بابِ أُولَى في هذا الزمان أن نتمسك بكتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فلذلك أشار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله - عليه الصلاة والسلام - : (يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَنْبِرِ) (9) ، وذلك لما يَحْتَفُ الأمة وما يكثر فيها من أنواع الفتن ، من أنواع الفتن ؛ العقدية والأخلاقية وغيرها من أنواع الفتن التي تُرى وتُسمع ليلَ نهار ، ووُجد لها من الدعاة الكثير والكثير ، والتي استُخدم لها هذه المستجدات من وسائل النشر ، كالأترنت والقنوات الفضائية ، وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي ؛ كلُّ يقذفُ علينا بما عنده من الانحرافات - نسألُ الله العافية والسلامة - .

لذا لا بدُّ لنا من التمسك الجاد بكتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وأن نتعلَّم كتابَ الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، إذا كثُرَ نريد النجاة من هذه الفتن والتخلص منها والاستقامة على الطريق المستقيم نتعلَّم من كتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ما يكون سببًا في نجاتنا .

والله أعلم ، وأكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



(8) الراوي : العرياض بن سارية | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه
(9) رواه الترمذي (42/2) وابن بطة في الإبانة (1/173/2) عن عمر بن شاکر عن أنس مرفوعا .